مركز حمورابي

الدلالات الإستراتيجية للرد العسكري الإيراني على إسرائيل.. مكسب ثمين أم جعجعة بلا طحين؟

الدلالات الإستراتيجية للرد العسكري الإيراني على إسرائيل.. مكسب ثمين أم جعجعة بلا طحين؟

الأستاذ الدكتور عبد القادر دندن
باحث في الشؤون الآسيوية - جامعة باجي مختار -عنابة - الجزائر

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

20 نيسان **2024**

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

بعد عقود مما يمكن وصفه بالحرب الباردة الإقليمية بين إيران وإسرائيل، والتي تميزت بعداوة شديدة وصراعات بين الطرفين على امتداد المنطقة حول عدد من القضايا الحساسة والمصيرية لكل طرف، لم يكن الخلاف بين الجانبين يتجاوز مرحلة التوتر أو التأزم كأقصى حد، فيما كان ضبط النفس هو المهيمن في علاقات الطرفين ولا سيما من الجانب الإيراني، بحيث لم يسبق وأن تورطت طهران في مواجهة مباشرة مع الكيان الصهيوني، عبر الجيش والقوات الإيرانية أو باستهداف الأراضي الإسرائيلية في فلسطين المحتلة بشكل مباشر، إذ كان ما يعرف بحلفاء إيران أو أذرعها الأمنية في المنطقة سواء في سوريا أو العراق أو اليمن أو لبنان، هم من يتكفلون بالرد نيابة عن ايران في حالات معينة من التصعيد بين الطرفين. ولكن الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق، والذي خلف عددا من القتلى الإيرانيين المتواجدين بمقر القنصلية الذي يعتبر قانونيا أرضا تابعة لأيران ، يبدو أنه كان من الفداحة والخطورة بحيث أخرج إيران عن حالة التحفظ وضبط النفس والصبر الإستراتيجي، ودفع بها نحو اعتماد رد عسكري على العمق الإسرائيلي، ليكون ذلك أول توجيه لضربة مباشرة من ايران للكيان الصهيوني باستعمال عدد كبير من الصواريخ والمسيرات. وقد تباينت التحليلات وردود الأفعال حول هذا الحدث والتطور الإستراتيجي غير المسبوق، سواء في إيران أو إسرائيل أو دول المنطقة وبطبيعة الحال القوى الكبرى العالمية ومجلس الأمن وغيرها، كما اختلفت وجهات النظر حول دلالات وتداعيات ذلك الرد العسكري الإيراني، وما إذا كان في المستوى المطلوب والمأمول، أم مجرد عمل استعراضي لحفظ ماء الوجه داخليا وإقليميا وعالميا، بعد تكبد طهران لخسائر كبيرة في هجوم القنصلية؟.

فبينما اعتبرت إيران الرد انتصارا عسكريا ودليلا على قوة منظومتها العسكرية لا سيما الصاروخية منها وطيران المسيرات، بنجاحها في استهداف بعض الأهداف وبدقة في الداخل الإسرائيلي، واعتبار ذلك عملا يدخل في إطار الدفاع الشرعي عن النفس الذي يكفله القانون الدولي والمواثيق الدولية، اتخذ الموقف في الكيان الصهيوني منحى مختلفا بوسم الهجوم بالفاشل، ووصف تصديها رفقة حلفائها الغربيين للغالبية العظمى من الصواريخ والمسيرات الموجهة نحوها بالانتصار الكبير، كما حمل الخطاب الأمريكي في طياته إشادة بالنجاح في التصدي للهجوم الإيراني، وحث اسرائيل على اعتبار مآلات الهجوم بمثابة الانتصار بما أن الخسائر كانت طفيفة جدا، وغالبية الأسلحة المستعملة في الهجوم لم تصل حتى الأراضي الإسرائيلية.

وهناك من رأى في ذلك الموقف الأمريكي محاولة لرسم صورة النصر لإسرائيل لمنعها من شن هجوم مضاد كرد على ما حدث، وذلك خشية تفاقم الأوضاع وانزلاقها إلى تطورات خارجة عن السيطرة تزيد المنطقة اشتعالا واضطرابا.

وغير بعيد جدا عن تلك المواقف، فإنه يمكن تقديم قراءة إستراتيجية لواقعة الرد العسكري وتداعياته بشكل أعم وأشمل، وأكثر بعدا عن مصالح وذاتية الأطراف الرئيسية المعنية بهذه الواقعة، فإنه يمكن استجلاء عدد من العناصر البارزة وحتى الحاسمة في تحليل هذا الموقف المستجد وغير المسبوق. فلا يمكن إنكار أن هذا الرد وعلى الرغم من محدودية الخسائر التي ألحقها بمنشآت الطرف المستهدف، وعدم إسفاره عن أي ضحايا في صفوف العسكريين أو المدنيين، إلا أنه وضع ملامح تشكل معادلة ردع واشتباك جديدة في المنطقة وفي علاقات إيران وإسرائيل، يمكن أن يكون قوامها الضربة بالضربة والعمق بالعمق، أي التأسيس لانخراط إيران بنفسها وبشكل مباشر في الرد على أي هجمات أو اعتداءات تنفذها إسرائيل ضد أراضيها او ضد مصالحها في المنطقة والخارج، ونقل موطن الرد إلى داخل الأراضي الإسرائيلية في فلسطين المحتلة، بحيث لا تبقى إسرائيل بمنأى عن المساس بأمن وسلامة الأراضي التي تسيطر عليها، وهذا الأمر في حد ذاته مربك لإسرائيل بشكل كبير وبشكل سابقة في تاريخ صراعها مع إيران، ولا سيما أنه تزامن مع تداعيات هجوم 7 أكتوبر على غلاف غزة ومجريات الحرب الدائرة هناك جراء ذلك الهجوم، مما جعل إسرائيل وفي ظرف 6 أشهر فقط تتلقى صدمتين إستراتيجيتين، أولاهما كانت بتوغل عناصر المقاومة الإسلامية ولا سيما عناصر حماس للأراضي المحتلة وإلحاق خسائر فادحة بقواتها العسكرية وبالمستوطنات وأسر عدد كبير من المستوطنين والجنود، وثانيهما انتقال طهران لضرب الداخل الإسرائيلي عسكريا ولو بشكل محدود النطاق والخسائر، وهذا ما من شأنه أن يزعزع العقيدة الأمنية والإستراتيجية الإسرائيلية، القائمة على مقولة الجيش الذي لا يقهر والأراضي التي لا تُمس.

وفي سياق متصل، يعقد الرد الإيراني على إسرائيل من الوضعية الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، فبعد أن كانت الإدارة الأمريكية تتعامل سابقا مع تهديدات خطابية لصناع القرار في طهران، وعمليات متفرقة لإسرائيل ضد مصالح إيرانية، ها هي ذي تجد نفسها في أتون واقع ميداني ملتهب في المنطقة، فإلى جانب غرقها في مستنقع غزة وحيرتها الإستراتيجية في التعامل مع وضع يفرض عليها دعم حليفتها إسرائيل من جهة.

وتخفيف الضغوط الداخلية والعالمية عليها لوقف إطلاق النار وتدارك الوضع الإنساني الكارثي في القطاع جراء العدوان الإسرائيلي وجرائم الإبادة والتجويع التي يبصم عليها يوميا، أضحت واشنطن في مواجهة شبح تحول الصراع البارد الإيراني الإسرائيلي إلى صراع مسلح قد يجر المنطقة إلى حرب إقليمية مدمرة، إذ ليس من مصلحة بايدن وإدارته إطلاقا تفاقم صراع الطرفين وانجراره إلى العسكرة والهجمات الانتقامية المتبادلة، ولا سيما في هذا الظرف الحساس الذي تتخبط فيه الولايات المتحدة إقليميا وعالميا، فهي تتحمل المسؤولية الأكبر في مساعي إيقاف الحرب في غزة وضمان أمن حليفتها إسرائيل، كما أنها مجبرة على إيجاد صيغة لكبح جماح تحول التوتر بين إيران وإسرائيل إلى حرب، ناهيك عن انشغالها بأوكرانيا في الجبهة الأوروبية، وضرورة مواصلة دعما لكييف في حربها ضد روسيا المنافس اللدود لها على القمة العالمية، بالإضافة إلى تخوفها من أن تطول دوامة الصراع والاضطراب في الشرق الأوسط بالشكل الذي يستنزف قواها، ويحول أنظارها عن منطقة أخرى اعتبرتها منذ حوالي عقد منطقة مصالحها الأولى في العالم وهي منطقة الهندوباسيفيك، فمنذ عهد الرئيس السابق باراك أوباما وبالضبط عام 2011، تبنت الولايات المتحدة سياسة التوجه نحو آسيا وجعلها بؤرة الاهتمام الإستراتيجي الرئيسة، لا سيما في مواجهة تطورات الصعود الصيني، ولكن الحرب الروسية – الأوكرانية أخلطت حسابات واشنطن وجرتها مرغمة نحو الجبهة الأوروبية، وفي ذات الوقت فإن حرب غزة والرد العسكري الإيراني على إسرائيل، قد أعاداها صاغرة للتركيز على الشرق الأوسط بينما تظل الجبهة الآسيوية في الشرق والهندوباسيفيك، خالية وسانحة لبيجين لتنفذ إستراتيجياتها وفرض أجندتها وتنمية علاقاتها بدول المنطقة، ونشر نفوذها إقليميا وعالميا خاصة اقتصاديا بفضل مشروع مثل مبادرة الحزام والطريق، وهذا هو جوهر المأزق الإستراتيجي الأمريكي الحالي والذي زاده الرد العسكري الإيراني سوءا وحرجا.

وبغض النظر عن حجم الرد والخسائر التي خلفها، فإن إقدام ايران على تلك الخطوة غير المسبوقة، يدلل على الخروج التدريجي من عباءة التهديد والخطابات النارية والحماسية، نحو مرحلة الفعل والتأكيد على أن طهران قادرة لو أرادت على قلب معادلة الصراع مع الكيان الصهيوني نحو هجمات متبادلة على أقل تقدير، وهو ما ينذر بانتهاء أو على الأقل التخلي التدريجي عن عقيدة الصبر الإستراتيجي التي تبنتها إيران في تعاملها مع إسرائيل مرارا، رغم تكرر الاعتداءات الإسرائيلية على المصالح الإيرانية داخل ترابها وخارجه.

غير أنه من مصلحة الطرفين أن تبقى المواجهة في نطاق معين، لأن الحرب أو المواجهة المفتوحة لا تخدم أيا منهما ولا المنطقة ككل ولا سيما في هذا الظرف الحساس، فالمنطقة التي تقبع على برميل بارود أو قنبلة موقوتة لا تتحمل المزيد من الشحن والضغوطات والتهديدات، وإيران تعيش وضعا اقتصاديا صعبا ولا قبل لها بشن حرب تضيع ما حققته من تقدم ولا سيما في مجال تطوير قدراتها العسكرية، وهي تدرك أنها لا تواجه إسرائيل لوحدها بل الولايات المتحدة الأمريكية معها كذلك وغيرها من حلفاء الكيان الغربيين، وحزمة العقوبات الغربية التي تعاني منها بسبب برنامجها النووي، وإسرائيل التي تتخبط في مواجهة المقاومة وصمودها البطولي والتاريخي، تحيط بها ضغوطات الداخل والخارج واختيارها توسيع المواجهة مع طهران هو مرادف لانتحار إستراتيجي هي غير مستعدة له. فيما تبقى الدول العربية في المنطقة مغيبة إستراتيجيا، وفاقدة لأي مشروع أو منظور معين للدفاع عن نفسها ومصالحها، وتقف موقف الأيتام في مائدة اللئام، في الوقت الذي يبقى الشغل الشاغل لصناع القرار فيها وحكامها هو البحث عن سبل البقاء في السلطة، سواء عن طريق التطبيع، أو مسايرة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، أو تبني سياسات حياد سلبي تمثلت في اكتفائها بالتعبير عن قلقها من خطورة التطورات على استقرار المنطقة، فيما شكرت إسرائيل عدد منها على دعمها المباشر أو غير المباشر لها في مواجهتها للرد الإيراني.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية